﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: 180 - 182]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

براعةُ الاختتام، بتنزيه المولى عنِ الأوهـام، ومدحِ الرُّسُل الكرام

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة وعيدَ المشركين بسبب إعراضهم وتكذيبهم بالحقِّ؛ ناسب بعد ذلك ذِكرُ تنزيهِ الله ﷻ، وليكونَ ختامُ السّورةِ مردودًا على أوَّلها وثناياها، وليكون التَّنزيه بيانًا للعاقبة الَّتي ستكون للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة، مع قَرنِ التَّسبيح بالحمد، لِما أنَّ الحمدَ يعقُب التَّسبيح على الدَّوام، وهو حمدٌ يلفُّ كلَّ المحامد في الزَّمان كلِّهِ، فهو انتقالٌ مِن ذِكر وعيد الكافرين، إلى ذِكر عاقبة المؤمنين، مع ما في هذا الختام مِن ذِكر التَّسبيح والحمد؛ لتكون خاتمةُ السّورة ناطقةً بالخير الثّابتِ لله، بما يليق به تعالى وصفاته الحُسنى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعِزَّةِ﴾: (عزز) أصلٌ يدُلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهُما مِن غَلَبَةٍ وقَهر[1]، فالعِزَّةُ: القوَّة والشِّدَّةُ والغَلَبَةُ والرِّفعة والامتناعُ، خِلافُ الذُّلِّ[2]، وهي حالةٌ مانِعة للإنسان من أن يُغلَب، مِن قولِهم: أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبَةٌ[3]، فهذه المادَّةُ لا تَخرجُ عن معانٍ ثلاثةٍ: الغَلَبَة، يقولون: مَن عَزَّ؛ بَزَّ، أي: من غَلَبَ؛ سَلَب، والشِّدَّة والقوَّة، ومنه: عَزَّ يَعَزُّ، ونَفاسَة القَدر، يقال منه: عَزَّ يَعِزُّ، والمقصودُ في الآية: المعاني الثَّلاثة، قال الفرّاء: "فإنَّها، أي: ﴿ٱلۡعِزَّةِ﴾ لله جميعًا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عزّ).
(2) ابن الأثير، النِّهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (عزز).
(3) الرّاغب، المفردات: (عزّ).

أي: كلُّ وجهٍ مِنَ العزَّة فلله"[1]، فربُّ العزَّة في الآية معناه أنَّه سبحانه مُنفَرِدٌ بالعزَّة الحقيقيَّة وهي القوَّة، والشِّدَّة، والغلبة، والرِّفعة[2].

2) ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: (سلم) أصلٌ، مُعظَمُ بابه من الصِّحَّة والعافية، فالسَّلامة: أن يَسلَم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: اللّه جلَّ ثناؤه هو السَّلام لسلامته ممّا يلحق المخلوقين من العَيبِ والنَّقص والفناء[1]، ومعنى السَّلام عليكم: أمَّنكم اللّهُ منَ العذاب في الدُّنيا والآخرة[4]، فمعنى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أمَنَةٌ من اللّه للمرسلين الَّذين أرسلهم إلى أُمَمِهم مِن فَزَع يوم العذاب الأكبر، وغيرِ ذلك من مكروهٍ أن ينالهم من قِبَلِ اللّه ﷻ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تنزيهُ اللّه عن كلِّ نقصٍ، وحمده على تسليم المؤمنين مِن كلِّ شرٍّ

خُتِمت السّورة بهذه الآيات الكريمات، الَّتي فيها تنزيه اللّه تعالى ربِّ العِزَّة عمّا يصفه هؤلاءِ المفتَرون عليه، وفيها تحيَّةُ اللّه الدّائمة وثناؤهُ وأمانُهُ لجميع المرسلين، ثمَّ الحمدُ للّه ربِّ العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحقُّ لذلك وحدَه لا شريك له[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيات:

مجيءُ الآيات في موقع الفذلكة للسورة كلِّها

جاء قول اللّه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مفصولًا عمّا قبله؛ لأنَّه استئنافٌ، فبعدَ ذِكر افتراءاتِ المشركين المختلفة في هذه السّورة؛ استأنف بتنزيهِ اللّه سبحانه عن كلِّ تلك الأقاويلِ، وفيه تعليمُ المؤمنين كيفيَّة تسبيحه سبحانه وتحميده

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 367.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 1/ 260.
(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (سلم).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/ 297، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/ 527.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 661.
(6) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 452.

والتَّسليم على رُسُلِه ﷺ، وجاءت هذه الآياتُ استئنافًا لتقع من السّابق موقع الفَذْلَكَة؛ لما احتوت عليه السّورة مِنَ الأغراض، جمعت تنزيهَ الله والثَّناءَ على الرُّسل والملائكة وحمْدَ الله على ما سبق ذكرُه من نعمة على المسلمين، مِن هدًى ونصرٍ وفوز بالنَّعيم المقيم[1].

دلالةُ الأصلِ الاشتقاقي للفظ ﴿سُبْحَٰنَ﴾:

جاء في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ استعمالُ لفظ ﴿سُبْحَٰنَ﴾؛ للدَّلالة على تنزيه الله ذي العظَمة المطلقة، و﴿سُبْحَٰنَ﴾ اسمُ التَّسبيح، وهو اسمُ مصدرِ (سَبَّحَ) المضاعف، وليس مصدرًا؛ لأنَّه لم يجئْ على أبنية مصادر الرُّباعي، وقيل: هو مصدر (سَبَحَ) مخفَّفًا بمعنى: نزَّه، فيكون كالغُفران والشُّكران والكُفران، مِن غفرَ، وشكر، وكفر، وقد كثُر استعماله منصوبًا على المفعوليَّة المطلَقة، بإضمار فعلِه كـ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 23]، فأصل الكلام: سَبِّحْ ربَّك سبحانًا، فلمّا عوِّض به عن فعلِه؛ صار: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ بإضافته إلى منصوبه الأصليِّ، وهو ممنوعٌ مِنَ الصَّرف للعلميَّة وزيادة الألف والنّون[2]، قال سيبويه: "وأمّا ترْكُ تنوين (سبحان)؛ فلأنَّه صار عندهم معرفة"[3].

لفظُ (سبحانَ) دالٌّ على العظمة المطلقة والتَّنزيه الكامل

بلاغةُ اختيار عنوان الرُّبوبيَّة:

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ عنوان الرُّبوبيَّة في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ لما في وصف الرُّبوبيَّة مِنَ الدَّلالة على الشَّفقة بالمربوب، ومحبَّة الخيرِ له، فإنَّ الرُّبوبيَّة داعيةُ الإحسان للخلق والتَّربية والرِّزق الكريم، والرَّبُّ هو المُحسِن بكلِّ نعمة دنيويَّة ودينيَّة[4]، ومَن كان هذا شأنُه؛ نُزِّه عن صفات النَّقص والاحتياج.

المتحلّي بالكمال المطلَقِ مُنزَّهٌ عن أوصاف النَّقص

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 198 - 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 414.
(3) سيبويه، الكتاب: 1/ 324.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 100.

غرضُ الإضافة في ﴿رَبِّكَ﴾:

تشريفُ الرَّسول وتكريم النَّبيِّ عن مطاعنِ الحاقد الغبيّ

أُضيف لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير المخاطَب في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ لتشريفه والعناية به بإضافته وخطابه، كأنَّه قيل: (سبحان من هو مُربّيك ومُكمِلك ومالك العزَّة والغلبة على الإطلاق عمّا يصفه المشركون به) مِنَ الأشياء الَّتي منها تركُ نصرتك عليهم، كما يدلُّ عليه استعجالهم بالعذاب[1]، مع ما فيه مِنَ الإيماء إلى الوعد بالنَّصر الكريم، فإنَّ مَن أرسلك قادرٌ على أن ينصرك.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾:

انفرادُ صاحب الرُّبوبيَّة بالعزَّة الحقيقيَّة، الَّتي منها عزَّةُ كلِّ عزيز

أضيف اسمُ الربوبيَّة إلى العزَّة في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لاختصاصه بها، كأنَّه قيل: ذو العِزَّة، كما تقول: صاحبُ صِدقٍ، لاختصاصه بالصِّدق، ومعنى كونه تعالى مالكَ العِزَّة: أنَّه منفردٌ بالعِزَّة الحقيقيَّة، وهي العزَّة الَّتي لا يشوبها افتقارٌ، فإضافةُ ربٍّ إلى العِزَّة على معنى لام الاختصاص، ويجوز أن يُرادَ أنَّه ما مِن عزَّةٍ لأحد من الملوك وغيرهم إلّا وهو ربُّها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، والفرق بين الوجهَين: أنَّ الإضافة على الوجهِ الأخير بمعنى المُعِزِّ، وعلى الأوَّل بمعنى العزيز بنفسِه، ولكلٍّ وجهٌ من المبالغة خلا عنه الآخر، ففي التَّعبير بالإضافة إثراءٌ للمعنى[2].

معنى تعريف ﴿ٱلْعِزَّةِ﴾:

العزَّة كلُّها لله وحدَه، وهو المنفرِدُ بها على الحقيقة

جاء لفظ العِزَّة معرَّفًا بـ(ال) في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لإفادة الاستغراقِ، فالعزَّةُ كلُّها لله سبحانه؛

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 150.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 68، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 199، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 150.

لأنَّ كلَّ شيء مِلْكٌ له ﷻ، فَلَمْ يبقَ لغيره شيءٌ، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: 139]، وقيل: إنَّ التَّعريف في العزَّة كالتَّعريف في الحمد، وهو تعريف الجنس، فيقتضي انفرادَهُ تعالى به؛ لأنَّ ما يثبت لغيره من ذلك الجنس كالعدَمِ[1].

دلالةُ استعمال حرف (عن):

اتِّساقُ دلالة (عن) مع التَّسبيح، فالله بعيدٌ عن كلِّ نقصٍ قبيح

ورد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لفظُ ﴿عَمَّا﴾، وهو حرفُ الجرِّ (عَنْ) مدغمًا في (ما)، وقد أفاد الحرفُ (عن) المجاوزةَ، وهو تجاوُزٌ بمعنى (بَعُدَ)[2]، ومعنى البُعدِ مناسِبٌ لسياق الآية من تنزيهِ اللهِ ﷻ، وعلوِّهِ، وبُعدِه عمّا وصفه به المشركون من الأباطيل والنَّقائص.

دلالةُ (ما):

تنزيهُ الله شاملٌ لجميع الأوصافِ الباطلة، والأقوالِ الكاذبة

تحتمل (ما) في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أن تكونَ مصدريَّة، والتَّقدير: (سبحانَ ربِّك عن وصفهم)، ويجوز أن تكون بمعنى (الذي)، أي: (سبحان ربِّك عن الَّذي يصفه به الكفرة مِنَ الأقوال الباطلة)، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، فجمع الاحتمالات الفعليَّة - كما هو في الاسم الموصول - والاسميَّة - كما هو في المصدريَّة - لتنزيه الله تعالى عن كلِّ وصفٍ قبيحٍ وقع، أو سيقع؛ فدلَّ ذلك على شمول تنزيهه لجميع النَّقائص في كلِّ وقتٍ وحين.

نكتةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

عقابُ الله للمشركين لما يتجدَّد من أفعالهم، لا لما تبدَّد

آثرَ النَّظم الكريم التَّعبير بصيغة المضارع في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ لبيان أنَّ الله تعالى إنَّما ذمَّهم على صنيعهم المتجدِّد، واستمرارِهم في الكفر، لا على قولٍ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 364، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 58.

صدَرَ عنهم مرَّةً واحدة، مع الإيماء إلى أنَّ ذلك الفعلَ كائنٌ فيهم وقتَ نزول الآيات؛ تهديدًا لما يصفون به الله ﷻ من المقالات الشَّنيعة.

نكتةُ حذف مفعولِ ﴿يَصِفُونَ﴾:

الكلامُ المحذوف يدلُّ عليه السّياقُ والمقام

حُذِفَ مفعول فعلِ الوصف في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ لدلالة قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ عليه، أي: (سبحان ربِّك عمّا يصفه به المشركون ممّا يقتضي النَّقائصَ، لِما ثبت من ضلالهم وبُعدِهم عن الحقِّ)، فحُذِف الضَّميرُ إيجازًا للعلم به، فإنَّ الكلام في هذه الآيات كُلِّها متعلِّقٌ بشؤون الله تعالى[1]، وليَعُمَّ الفعلُ جميعَ ما يحتمله الكلام مِنَ المعاني، أو لتنزيل الفعل المتعدّي منزلةَ اللازم، وذلك بجعل جميعِ ما صدر عن المشركين في حقِّ الله تعالى باطلًا؛ إذ بعض الحقِّ في أمور العقائد الباطلة مُلحَقٌ بالباطل.

براعةُ التَّرتيب بالعطف:

ترتيبُ التَّدلّي، بتنزيه المُرسِل، ثمَّ تنزيه المُرسَلين

عُطِفَ قَوْلُ الله تَعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ للتَّرتيب عن طريق التَّدلّي، فبعدَ تنزيه الله تعالى جاء ذكرُ سلامة المرسلين من صُنع النَّقائص الَّتي تُنافي الرِّسالة، فهو تنزيهٌ للمرسلين عن وصف المشركين واتِّهامِهم الرَّسولَ الخاتمَ بالكذب والافتراء والشِّعر والكهانة والجنون، فالعطف دلَّ على ترتيب التَّنزيه مِنَ المُرسِل إلى الرَّسول والرِّسالة، فتنزيهُ الرَّسول تابعٌ لتنزيه المرسِل سبحانه.

وفي الآية تعميمٌ بعد تخصيص، فلقد تقدَّم في هذه السّورة السَّلامُ على مَن شاء الله سبحانه تخصيصَه مِن رسلِه، ثمَّ جاء في هذه الآية السَّلامُ على مجموع المرسلين؛ تكريمًا لهم، وإعلاءً لقدرهم؛ لكونهم وسائطَ بين الله وبين عباده[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 319، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 192.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 320.

نكتة تنكير ﴿وَسَلَٰمٌ﴾:

أمَـنَـةُ المرسلين من كُـلِّ المكاره، وفوزهم بجميع المآرب

أوثِرَ في قَوْل الله تَعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تنكيرُ لفظِ السَّلام؛ للدَّلالة على التَّعظيم، فهو سلامٌ عظيمٌ، وأمَنَةٌ من الله للمرسلين، الَّذين أرسلهم إلى أممهم الذين ذكرهم في هذه السّورة وغيرهم، سلامٌ من فزَعِ يومِ العذاب الأكبر، ونجاةٌ من كلِّ المكاره، وفوزٌ بجميع المآرب[1].

معنى تعريفِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

شُـمـول وصف المرسَلين لكلِّ من اتَّصف بهذا الوصف

يفيدُ تعريفُ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في قَوْل الله تَعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الاستغراقَ، فهو يشمَلُ كلَّ من يتَّصف بأنَّه مرسَلٌ من الله تعالى لتنفيذ أمره، وإعلاء كلمته، فالمرسَلون هم الَّذين يبلِّغون رسالاتِ الله إلى الأمم، ويبيِّنون لهم ما يحتاجون إليه من الأمور الدّينيَّة والدُّنيويَّة[2].

نكتةُ عطف الحمد على التَّسبيح:

عُطِفت جملةُ: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على ما قبلها للجمع بين التَّسبيح والتَّحميد، فالتَّسبيح ابتداء، والحمد اكتمال، فمَن لم يُسبِّحِ الله في بداياته؛ لم يحمدْهُ في نهاياته.

معنى تعريف لفظ الحمد:

اسـتـغـراقُ المحامدِ كلِّها لله، فلا مُنعِمَ عـلى الـعـبـاد سواه

جاء لفظُ الحمدِ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ معرَّفًا بـ(ال)، إمّا للدَّلالة على العهد، أي: (الحمدُ المعهودُ الذي حَمِدَ الله به نفسَه، وحَمِدَهُ به أولياؤُه)[3]، "والعِبرَةُ بِحَمدِ مَن ذُكِر، فَلا فَرْدَ مِنهُ لِغيرِه"[4]، وإمّا لتعريف الجنس، كما اختاره

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 661، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 199، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 293.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 293.

(3) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 1/ 482 - 483.

(4) الشّربيني، السّراج المُنير: 1/ 8.

الزَّمخشريُّ[1]، وإمّا للاستغراق[2]، وهو قول المُحَقِّقين[3]، ومعناه: أنَّ الحمدَ في الحقيقة كُلَّهُ لله، فما مِن خيرٍ إلّا وهو موليهِ، بِوَسَطٍ أو بِغَيْرِ وسَطٍ[4]، وقيل: إنَّها لِلكَمالِ، وهو مُخرَّجٌ على كلامٍ لِسيبَوَيهِ في (ال) الدّاخلةِ على الصِّفات[5].

نوعُ اللّام ومعناها:

استحقاقُ الرَّبِّ الحمدَ والثَّناءَ من أهل الأرض والسَّماء

دخلتِ اللامُ على اسم الجلالة في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ويحتمل أن تكونَ للاستحقاق: فالله سبحانه مستحِقٌّ للمدح والثَّناء، جديرٌ أن يَحمدَه أهلُ الأرض والسَّماء، وتحتمل أن تكونَ اللّام لِلمِلكِ، أي: إنَّه سبحانه خالقٌ لكلِّ مَنْ نَطَقَ بالحَمْدِ، فكان مالكًا له؛ إذِ الخالقُ مالكٌ، وتحتمل أن تكونَ للاختصاص، أي: إنَّ الله له سبحانه بكُلِّ المحامدِ اختصاصًا[6]، وكونُ اللّامِ للاستحقاقِ أشْبَهُ بالقواعدِ، ولهذا اقتَصَر أبو حَيّان على هذا المعنى[7]، فإنَّ لامَ الاستِحقاقِ هي الواقِعَة بَين مَعنًى وذاتٍ[8]، كما في هذه الآية.

بلاغةُ التَّعبير بالجملة الاسميَّة:

استحقاقُ الله للحمد، وثبوته وإن لَم يَحمَدْهُ أحدٌ

أوثِر في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ التعبيرُ بالجملة الاسميَّة دون الفعليَّة، فلم يقل: (واحمدوا الله) أو نحوها؛ وذلك لأنَّ الجملةَ الفعليَّةَ توهِمُ أنَّ الخلقَ قادرٌ على تَوفيَةِ الحَمْدِ حقَّهُ، بخلافِ الاسميَّة، فإنَّها تفيد استحقاقَ الله تعالى للحَمْدِ قَبْلَ حَمْدِ الخلقِ له.

---

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/ 10.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّرُ الوجيز: 1/ 66.
(3) السُّيوطي، نواهد الأبكار: 1/ 164.
(4) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/ 27.
(5) الشّربيني، السّراج المنير: 1/ 8.
(6) الواحديّ، التّفسير البسيط: (1/ 483)، والقِنَّوجي، فتح البيان: 11/ 161.
(7) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/ 34.
(8) ابن هشام، مغني اللَّبيب، ص: 275.

ومِن أسباب اختيارِ الاسميَّة أنَّ جملة: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ دالَّةٌ على استحقاقِ اللّه ﷻ لِلحَمدِ، بخلاف (واحمدوه)، فَلا تدُلُّ على ذلك، واللَّفظ الدّالُّ على استحقاقِ اللّه لِلحَمْدِ مُقَدَّمٌ على غيرِه.

ومنها أيضًا أنَّ في جملة ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ مِنَ الاستغراق لأنواع المحامدِ ما لَيسَ في (واحمدوه)، فقولهُ تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ دخَلَ فيه حَمْدُهُ، وحَمْدُ غيرِه جميعًا مِن لَدُن خَلْقِ العالم إلى انتهاءِ دخول أهل الجنَّةِ الجنَّةَ: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: 10][1].

ومنها أنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جملةٌ اسميَّة، وهي دالَّة على الثُّبوت والاستمرار بالقرائن، بخلاف (واحمدوه) ونحوها، فإنَّها جملةٌ فعليَّة تَدُلُّ على الحدوثِ، والثُّبوتُ والاستمرارُ أنسَبُ في مقام الثَّناءِ[2].

ومنها أنَّ في جملة: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إثباتًا للحَمْدِ مع التَّعريضِ بالاستِغناءِ عن الخلقِ، أي: (والحمد لله وإن لَمْ يَحْمَدْهُ أحدٌ)[3].

غرَضُ مجيءِ الخبر بمعنى الإنشاء:

وجوبُ المسارعة إلى الامتثال، بما جاء في صورة الثَّبات

جاء الخبرُ في قَوْلِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مرادًا به الأمر، بمعنى (واحمدوه)، ونكتةُ ذلك إخراجُ الأمر في صورة الخبر تأكيدًا للأمر، وإشعارًا بأنَّه ممّا يجب أن يُتلقّى بالمسارعة إلى امتثاله، فالإخبارُ تصويرٌ للمأمور به المستقبَل كأنَّه موجودٌ قد امتُثل، فدلَّ هذا النَّظم على ثبوت الحمد لله تعالى، ووجوبِه على جميع الخلق، على أبلغِ وجه وآكَدِه[4].

نكتةُ إيثار اسم الجلالة:

تعظيمُ توحيد الألوهيَّة، واستحضار صفات الكمال

أوثِرَ في قَوْل اللّه تَعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ذِكرُ الاسم الأعظم (اللّه)، الجامعِ لأسمائِهِ الحسنى؛ تعظيمًا لحقِّ الألوهيَّة،

(1) السُّيوطي، نواهد الأبكار: 1/ 166.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 1/ 191.
(3) ابن عَجِيبة، البحر المديد: 1/ 53.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 54.

وتقريرًا للقوَّة الكاملة والعزَّة القاهرة لله سبحانه، فهو جديرٌ بكلِّ الصِّفات الفائقة، المقتضيَةِ لتنزيهه عن كلِّ نقصٍ[1]، وحمدِه على كلِّ جميلٍ، وحَقيقةُ العَظَمَةِ مُختصَّةٌ به وحدَه سبحانه، فيُذْكرُ اسمُ الجلالَةِ لإحضارِ المعنى الجامعِ لِصفاتِ الكمالِ[2].

نكتةُ ذِكر الربوبيَّة بعد الألوهيَّة:

أعـظـمُ بـيـانٍ للمحمود ذِكـرُ إنـعـامـه على الحامد

وصف الله سبحانه نفسه بالرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، بعد أن أرْشَدَ عبادَهُ إلى حَمْدِهِ ﷻ المُستَحَقِّ لهُ؛ لأنَّ العبد إذا رأى نِعَمَ الله تعالى على نفسه واضحةً، وشاهَد آثارَها على غيره؛ عرف أنَّه تعالى ربُّ الخلائق أجمعين، ربُّ الثَّقلين الجنِّ والإنس، فقال: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقد أوثر التَّعبير بوصف الرُّبوبيَّة دون سواه من أسماء الله وصفاته: لِما في وصف الرُّبوبيَّة من الدَّلالة على الشَّفقة بالمربوب، ومحبَّةِ الخير له، فهو المُحسن بكلِّ نعمةٍ دنيويَّةٍ ودينيَّةٍ على خلقه[3].

دلالةُ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعريفًا وجمعًا:

ربـوبـيَّـةُ الـلـه شاملةٌ لجميع المخلوقات، فلهُ الحمدُ وحدَه

جاء لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قول الله: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مُعَرَّفًا بـ (ال) الدّالَّةِ على تعريف الجنس المقتضي للعموم، فهو اسمُ جَمْعٍ للعالَم، والمرادُ بـ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أصنافُ الخلائق[4]، وهو مشتقٌّ مِنَ العِلم أو العَلامَة[5]، فأمّا اشتقاقُهُ مِنَ العِلْم؛ فهو جارٍ على مَن يَخُصُّ العالمين بالعُقَلاء، وأمّا اشتقاقُه مِنَ العَلامة؛ فَلأنَّ المخلوقَ عَلامةٌ على وجودِ خالقِه، وهو أعَمُّ من الأوَّل، وبجمع ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وتعريفه بـ(ال) للجنس؛ دلَّ على الاستغراق الشُّموليِّ، فلا يبقى عالَمٌ إلّا وهو داخل في مفهوم هذا اللَّفظ.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 533.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 100.
(4) العُلَيْميّ، فتح الرَّحمن: 1/ 42.
(5) الواحديُّ، التَّفسير البسيط: 1/ 489.

براعةُ اختتامِ السّورة بالحمد:

توفيقُ اللهِ العبدَ للتَّسليم من جملة النِّعم الموجِبة للحمد

في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدَّم التَّنزيه، وتوسَّط التَّسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده؛ لختم السورة الكريمة بحمده تعالى، مع ما فيه من الإشعار بأنَّ توفيقَه تعالى للتَّسليم من جملة نِعَمِه تعالى الموجِبة للحمد، وفي تقديم التَّنزيه أيضًا اهتمامٌ به ذاتًا ومقامًا، فلمّا كان التَّنزيهُ عمّا يصفه به المشركون مضمَّنًا الإشارةُ إلى سوء حالِهم وفظاعةِ منقلبهم؛ أردف ﷻ ذلك بالإشارة إلى حسن حال المرسَلين، الدّاعين إلى تنزيهه تعالى عمّا لا يليق به[1].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 151.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»